**لماذا تهتم موسكو بالصراع الإسرائيلي ــ الفلسطيني؟**

* [د. زياد منصور](https://assoual.com/archives/author/ziadmansour)

* [23/10/2023](https://assoual.com/archives/39876)

* [ذاكرة ووثائق](https://assoual.com/archives/category/memory-and-documents), [قضايا وآراء](https://assoual.com/archives/category/issues-and-opinions)

**د. زياد منصور**

**أعلن فلاديمير بوتين عن ضرورة إنشاء دولة فلسطينية مستقلة، وحسب رأيه هذا هو الأساس لحل الصراع في الشرق الأوسط. ومن ناحية أخرى، اعترف الرئيس الروسي بحق إسرائيل في الدفاع عن النفس. وهكذا أشارت موسكو مرة أخرى إلى حيادها في هذه القضية.**

**على هذا الأساس بدا الموقف الروسي على مسافة واحدة الأحداث الجارية، فهل هذا يعبر حقيقة عن مضمون الموقف الروسي، وهل من مكاسب يمكن أن تجنيها موسكو مما يجري رغم إسرائيل أظهرت بما لا يدع مجالاً للشك دعمها وتأييديها للحكم القائم في كييف وقدمت له الخبرات العسكرية والمد اللوجستي في صراعه ضد روسيا.**

**وخلال الأسبوع الفائت، قال الرئيس فلاديمير بوتين أيضًا إن روسيا تنطلق من حقيقة أنه لا يوجد بديل للحل التفاوضي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي وقد أعلن ذلك في قمة رابطة الدول المستقلة في بيشكيك. ووفقا لوجهة نظره، تعرضت تل أبيب لهجوم وحشي ولها الحق في الدفاع عن نفسها، لكن التسوية الحقيقية للوضع غير ممكنة إلا إذا تم إنشاء فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية.**

**وبرأيه فإن هدف المفاوضات يجب أن يكون تنفيذ صيغة الدولتينبحسب القرارات الدولية، ولا بديل عن ذلك. وأضاف: علينا أن نشعر بالقلق إزاء عدم حل هذه القضية بالطرق السلمية . ووصف بوتين الحرب في الشرق الأوسط بأنها مأساة هائلة للإسرائيليين والفلسطينيين. معبرًا هذا الصراع نتيجة مباشرة لسياسات الولايات المتحدة الفاشلة في الشرق الأوسط. إلى ذلك، حذر الرئيس الروسي تل أبيب من شن عملية برية في قطاع غزة.**

**دون أدنى شك فإن هذه المواقف تؤكد أن عدم حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يثير قلق المجتمع الدولي برمته. وبالعودة إلى عام 1967، بعد انتهاء حرب الأيام الستة، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم 242 الذي يدعو تل أبيب إلى سحب قواتها من أراضي القدس الشرقية التي ضمتها أثناء القتال.**

**وفي تموز 1980، أعلن مؤتمر زعماء عدم الانحياز أن المدينة المقدسة جزء لا يتجزأ من فلسطين المحتلة يجب التخلي عنها بالكامل ونقلها دون قيد أو شرط إلى السيادة العربية رداً على ذلك، أقرت تل أبيب قانون القدس، الذي تم بموجبه إعلان المنطقة. واحدة وغير قابلة للتجزئة. ومنحها مكانة عاصمة الدولة اليهودية.**

**وفي وقت لاحق، حاولت الولايات المتحدة حل الوضع في المنطقة. وفي عام 1993، وكجزء من المفاوضات السرية في النرويج، تم التوقيع على اتفاق أوسلو 1، الذي بموجبه اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بحق إسرائيل في الوجود .في سلام وأمن. ووافقت تل أبيب على اتفاقيات مؤقتة بشأن السيادة الذاتية، وإنشاء حكومة الحكم الذاتي الفلسطينية.**

**وفي وقت لاحق، في عام 1995، تم توقيع اتفاقية أوسلو 2 لتوسيع سلطة الفلسطينيين من خلال إنشاء هيئة منتخبة لفترة قصيرة – لا تزيد عن خمس سنوات من تاريخ إضفاء الطابع الرسمي على الاتفاقيات. ومع ذلك، تم تقويض هذه الوثيقة بسبب تغيير الحكومة في إسرائيل في عام 1996، مما دفع البلاد إلى تأخير إعادة انتشار القوات في الخليل.**

**وعلى خلفية المحاولات المستمرة التي يبذلها المجتمع الدولي للتوفيق بين الأطراف المتصارعة، قامت روسيا ببناء علاقات قوية مع كل من فلسطين وإسرائيل. أصبحت تل أبيب ومدن أخرى مركز جذب للمهاجرين من الاتحاد السوفييتي وروسيا.علاقة روسيا بالقوى الفلسطينية وحماس في الأشهر الأولى للعملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، وعلى خلفية ذلك شهدت**

**العلاقات الروسية الإسرائيلية برودة ملحوظة**

**بدا أن العلاقات بين موسكو وحركة حماس تكثفت. وفي أيار2022، زار وفد تمثيلي من قطاع غزة روسيا، حيث التقى بوزير الخارجية سيرجي لافروف ورئيس الشيشان رمضان قديروف. وقد التقى قادة حماس، المعترف بها كمجموعة إرهابية من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وإسرائيل، مع الدبلوماسيين الروس عدة مرات من قبل. لكن حتى وقت قريب، كانت السلطات الإسرائيلية تفترض أن نفوذ موسكو الحقيقي محدود للغاية. وللوهلة الأولى، أكدت أحداث العام الماضي صحة هذا النهج: فالاتصالات بين روسيا وحماس لم تتكثف أكثر. سبق ذلك علاقات وطيدة مع منظمة التحرير، وكان هذا الأمر في الوقت الذي لم تتشكل حماس (حركة المقاومة الإسلامية) فقط في عام 1987 كفرع لحركة الإخوان المسلمين (التي قطعت العلاقات معها رسميًا في عام 2017). لكن في السابق، كان الاتحاد السوفيتي يدعم بالفعل القوى الفلسطينية من أجل تحرير أرض فلسطين وبناء الدولة.**

**قبل البيريسترويكا، كان الموقف السوفييتي في التعامل مع الصراع في الشرق الأوسط بسيطاً: فقد احتلت إسرائيل كل فلسطين، وكان الاتحاد السوفييتي يدعم معارضيها في المنفى، وأبرزهم منظمة التحرير الفلسطينية تحت زعامة ياسر عرفات. كان من المهم بالنسبة لموسكو أن يهيمن السياسيون اليساريون على منظمة التحرير الفلسطينية. ولم يقم الاتحاد السوفييتي علاقات دبلوماسية مع إسرائيل منذ عام 1967. وحافظت الدولتان على اتصالات غير رسمية فقط: على وجه الخصوص، من خلال مراسل برافدا السابق في الشرق الأوسط، المستشرق يفغيني بريماكوف. في الوقت نفسه، كان بريماكوف صديقا لعرفات، وكان الرئيس المستقبلي للسلطة الفلسطينية محمود عباس طالب دراسات عليا تحت إشراف بريماكوف نفسه.**

**في الثمانينيات، نما دور بريماكوف في السياسة: فقد أصبح مستشارًا للأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي ميخائيل جورباتشوف، وحدد جزئيًا السياسة الخارجية للبلاد. وكان بريماكوف، قبل وفاته في عام 2015، قال إنه ينبغي إدانة المسلحين الفلسطينيين بتهمة الإرهاب، ولكن لا يمكن اعتبارهم إرهابيين، لأنهم يتصرفون ردا على الأعمال المسلحة الإسرائيلية ضد السكان المدنيين في فلسطين وفي عام 1991، ترأس بريماكوف جهاز المخابرات الخارجية، ثم المخابرات الروسية. لكن الأحداث التي وقعت في الشرق الأوسط في هذا الوقت بالتحديد هي التي أبطلت فعليًا جميع جهود الاتحاد السوفييتي لدعم منظمة التحرير الفلسطينية: بعد سنوات عديدة من المفاوضات السرية في عام 1993، أبرمت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية معاهدة سلام، واعترف كل منهما بوجود الآخر. ونبذ العنف، على الأقل بالكلمات. كما شاركت روسيا ممثلة بوزيرخارجيتها أندريه كوزيريف في توقيع الاتفاقيات، لكن في الواقع كان دورها في عملية التسوية رمزياً.**

**بعد أن تخلت منظمة التحرير الفلسطينية، بموجب اتفاقيات 1993، عن هدفها البرنامجي انقسمت الحركة الفلسطينية إلى جناح معتدل (بقيادة فرع منظمة التحرير الفلسطينية – حركة فتح) والعديد من المنظمات المتطرفة (بما في ذلك الإسلامية)، والتي أصبحت حماس الأقوى بينها.**

**بقيت فتح (.حركة التحرير الوطني الفلسطيني.) وريثة الرئيس الراحل ياسر عرفات، الفصيل الأكبر والأكثر نفوذا في منظمة التحرير الفلسطينية. تخلت رسمياً عن النضال المسلح عام 1993 بعد اتفاقية مع إسرائيل. لم تعد أي دولة، تعتبر فتح منظمة إرهابية، وباتت تتمتع الحركة بالشرعية الأكبر بالنسبة لبقية العالم، ولكن ليس لدى جميع الفلسطينيين.**

**وخلافاً لفتح، فإن حماس اعتبرت من قبل دول عدة في أوروبا وغيرها منظمة إسلامية متطرفة تدعو باستمرار إلى الكفاح المسلح ضد إسرائيلـ تسعى من وجهة نظرها إلى القضاءعلى إسرائيل وحقها في الوجود. دون شك فإن هذا الموقف لا يزال هذا الموقف يحظى بدعم قطاع كبير من الفلسطينيين.**

**في عام 2005، أنشأت حماس حزبًا سياسيًا يسمى .التغيير والإصلاح.، وفي عام 2006 فازت بالفعل في انتخابات الجمعية الوطنية الفلسطينية، متغلبة على حركة فتح التي كانت تحكم سابقًا بنسبة 4% من الأصوات.**

**وبعد خسارة الانتخابات، رفض ممثلو فتح الدخول في ائتلاف مع الفائزين، وأصبح أحد زعماء حماس، إسماعيل هنية، رئيساً جديداً للحكومة ـ الأمر الذي أدى على الفور إلى فرض حظر دولي وعقوبات على الحكومة الفلسطينية الجديدة. وبدأت اشتباكات دامية بين أعضاء حركتي حماس وفتح الذين لم يرغبوا في التخلي عن السلطة. وانتهت محاولة التفاوض على تشكيل حكومة وحدة وطنية بحرب أهلية قصيرة ولكن مكثفة في حزيران 2007. فقد أسست فتح نفسها في جزء واحد من فلسطين ـ على الضفة الغربية لنهر الأردن، لكنها خسرت في غزة وتم طردها أخيراً من القطاع الذي سيطرت عليه حماس بالكامل. ومنذ ذلك الحين، حاولت أطراف مختلفة، بما في ذلك روسيا والولايات المتحدة ومصر، العمل كوسطاء بين الفصائل الفلسطينية المتحاربة.**

**كيف تتعامل روسيا مع حماس؟**

**بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، قامت موسكو بتحسين علاقاتها مع إسرائيل بشكل جذري. وفي الوقت نفسه تغير موقف السلطات الروسية تجاه حماس. طوال التسعينيات وأوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أدانت بانتظام هجمات حماس، واصفة المسلحين مباشرة**

**بالمتعصبين الإسلاميين والمتطرفين. على سبيل المثال، في آب 2004، عندما أصبح سيرجي لافروف رئيساً لوزارة الخارجية، أصدرت وزارة الخارجية بياناً حول الهجوم الذي نفذه انتحاري من حماس في مدينة بئر السبع الإسرائيلية، مما أسفر عن مقتل 17 شخصاً. وأضاف أن موسكو تدين بشدة الهجوم الوحشي الجديد الذي شنه المتطرفون. وأضاف البيان: “نحن مقتنعون بأنه لا يمكن تحقيق أي أهداف سياسية أو غيرها من خلال العنف والإرهاب”، ولكن حتى على الرغم من صداقتها مع إسرائيل وإدانتها للهجمات الإرهابية، فإن روسيا لم تعترف قط بحماس باعتبارها منظمة إرهابية ــ رغم أنها أضافت، على سبيل المثال، حركة طالبان الأفغانية إلى القائمة المنظمات الإرهابية الروسية.**

**وتحسنت العلاقات بين روسيا وحماس بشكل جاد بعد فوز الحركة في انتخابات برلمان السلطة الفلسطينية كانون الثاني 2006. في 31 كانون الثاني، في مؤتمره الصحفي السنوي، أشار الرئيس فلاديمير بوتين، ردا على سؤال من مراسل قناة الجزيرة، إلى أن روسيا لم تعترف قط بحماس كمنظمة إرهابية. لكنه تحفظ على أن هذا لا يعني “أننا نؤيد ونؤيد كل ما تفعله “حماس”. وأوضح بوتين أنه بما أن هذه الحركة، بعد فوزها في الانتخابات، انتقلت من المعارضة الراديكالية إلى فئة الحكومة المنتخبة شرعيا، فيجب أخذها في الاعتبار كقوة سياسية حقيقية.**

**كان هذا متسقًا تمامًا مع ما كرره يفغيني بريماكوف لفترة طويلة. وفي حديثه في أب 2006 في اجتماع لمجموعة الرؤية الإستراتيجية .روسيا – العالم الإسلامي. في قازان، قال بريماكوف إنه لا يعتبر حماس منظمة إرهابية، بل منظمة خيرية (على الرغم من أنه ذكر أن لديها جناحًا عسكريًا متورطًا في الهجمات الإرهابية). الذي وصل إلى السلطة نتيجة لإرادة الشعب.**

**الروس في غزة**

**يعيش عدد من المواطنين الروس – أو بالأحرى المواطنات حيث يتلقون المساعدات من الديبلوماسيين الروس وتزويدهم بالمساعدة القنصلية وغيرها من المساعدة من رام الله فمثل هذه الزيارات مستحيلة دون التواصل مع حماس. بالإضافة إلى ذلك، يعمل المركز الثقافي الروسي “كالينكا” في غزة، والذي ترعاه وكالة التعاون الروسي**

**Rossotrudnichestvo التابعة لوزارة الخارجية الروسية بقيادة حفيد يفغيني بريماكوف – يفغيني ألكسندروفيتش.**

**وفي الوقت نفسه أقامت روسيا علاقات رسمية مع السلطة الوطنية الفلسطينية، أي مع منظمة فتح. حماس، رغم ذلك ليس لديها لحماس مكتب تمثيلي خاص بها في موسكو. أما البعثة الدبلوماسية الروسية في فلسطين فموجودة فقط في رام الله بالضفة الغربية.**

**منذ عام 2006، تُعقد اجتماعات منتظمة مع أعضاء القيادة العليا (المكتب السياسي) لحركة حماس مع وزارة الخارجية الروسية. كانت المرة الأولى التي زار فيها رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، موسكو في زيارة رسمية كانت مباشرة بعد فوز الحركة في الانتخابات الفلسطينية في آذار 2006. وفي مقابلة مع صحيفة روسيسكايا غازيتا الحكومية، لم يخف فرحته بأن الحركة تمكنت أخيرًا من تحقيق الشرعية الدولية: .كنا مقتنعين دائمًا بأن اليوم سيأتي عندما نتمكن من القدوم بهدوء إلى عواصم العالم. وكانوا على يقين من أن هذا سيحدث بعد انتصار حماس. لكن متى سيحدث هذا بالضبط، بالطبع، لم يعرف أحد منا. وخاصة أن ذلك سيحدث بسرعة كبيرة**

**وفي عام 2010، التقى الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف بخالد مشعل. ولكن سرعان ما تدهورت العلاقة لفترة طويلة.**

**لماذا تدهورت العلاقة؟**

**وفي عام 2011، دعمت حماس المعارضة المسلحة في سوريا، التي بدأت الثورة في البلاد. وكان جزء كبير من مقاتلي حماس في تلك اللحظة متمركزين في سوريا (كان أعضاء المكتب السياسي للمنظمة يختبئون هناك من أجهزة المخابرات الإسرائيلية)، لذلك شاركت المنظمة بشكل مباشر في الثورة السورية إلى جانب المعارضة. قبل ذلك، كان النظام السوري وإيران من أهم حلفاء حماس: فقد زودوا غزة بالأسلحة (بما في ذلك أنظمة صواريخ كورنيت الروسية الحديثة المضادة للدبابات) وتكنولوجيا الصواريخ، والتي على أساسها قامت حماس ببناء ترسانة من آلاف الصواريخ .**

**وفي سوريا، واجه مقاتلو حماس حزب الله ، المدعومة من إيران. وفي الوقت نفسه. وفي هذه المواجهة الدينية والسياسية والجيبوليتيكية المعقدة، اتخذت روسيا خياراً واضحاً لصالح بشار الأسد؛ منذ عام 2015، تنتشر القوات الروسية في البلاد، والتي أصبحت حليفة لإيران وحزب الله هناك. ونتيجة لذلك، تراجع النفوذ الروسي في قطاع غزة. في الوقت نفسه، لم يتغير موقف موسكو الرسمي تجاه حماس: على سبيل المثال، في عام 2015، أكد نائب وزير الخارجية ميخائيل بوغدانوف أن روسيا لا تعتبر حماس إرهابية لأنها .جزء لا يتجزأ من المجتمع الفلسطيني. ولها ممثلين في المجلس التشريعي الوطني. المجلس ووحدة الحكومة الوطنية.**

**لماذا لا تزال روسيا بحاجة إلى حماس؟**

**لم تفقد موسكو حتى الآن الأمل في أن تصبح وسيطا في المفاوضات بين مختلف الفصائل الفلسطينية المتحاربة – حماس وفتح والجهاد الإسلامي وغيرها. وهي تحاول أيضاً إعادة تشغيل اللجنة الرباعية الخاصة بالشرق الأوسط، والتي هي أحد أعضائها. فيما يتعلق بالنقطة الأولى، من الواضح أن الجهود التي بذلتها روسيا كانت غير ناجحة.**

**على الرغم من أن المفاوضات والاجتماعات التي يشارك فيها ممثلون عن فتح وحماس والفصائل الفلسطينية الأخرى تعقد بانتظام في موسكو (في آذار 2020، التقى سيرجي لافروف مع زعيم الجهاد الإسلامي زياد النحال)، إلا أن الاتفاقيات الرئيسية – على سبيل المثال، اتفاق المصالحة بين فتح وحماس في غزة 2017 – اختتمت دون مشاركة روسيا على الإطلاق.**

**ومع عودتها إلى عدد الوسطاء الرئيسيين في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، لم ينجح أي شيء بالنسبة لروسيا حتى الآن. وفي عام 2020، اقترح الرئيس الأمريكي دونالد ترامب خطته للتسوية في الشرق الأوسط وأصبح وسيطًا بين إسرائيل والعديد من الدول العربية. وكانت حماس والسلطات الرسمية في السلطة الفلسطينية (أي فتح) غاضبة للغاية من الخطة الأمريكية – وهي في نظرهم مؤيدة لإسرائيل بشكل غير مقبول. ولم توافق حماس قط على الصفقة، التي عرضت عليها اعترافا ضمنيا تقريبا بإسرائيل وإنهاء الحرب مقابل تخفيف**

**الحصار المفروض على غزة.**

**في مثل هذه الظروف، اعتبر السياسيون الفلسطينيون موسكو بمثابة ثقل موازن للولايات المتحدة، على أمل أن تتمكن من تغيير أجندة المفاوضات. لكن السلطات الإسرائيلية غير راضية سرًا عن اتصالات روسيا مع حماس وفقط لأن إسرائيل وروسيا لديهما العديد من المصالح المشتركة، فإن المسؤولين الإسرائيليين لا ينتقدون هذه الزيارات علنًا. في الوقت نفسه تدرك إسرائيل أيضًا أن روسيا ليس لها أي تأثير حقيقي على قيادة حماس، ولكنها تحاول فقط الاندماج في سياسة الشرق الأوسط في جميع مناطق الصراع.**

**ما هو الوضع الآن، وهل الموقف من أوكرانيا يرجح الموقف الروسي لصالح الفلسطينيين؟**

**تعتبر روسيا شريك طويل الأمد وموثوق به للعديد من الدول الإسلامية والعربية. خلال الفترة السوفييتية، كانت موسكو شفيعة للفلسطينيين، وبالتالي لم تفقد صداقة الطرفين حتى بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. وبالتوازي مع ذلك، تجري بنجاح عملية بناء العلاقات مع إيران، التي لديها أيضاً وجهة نظرها الخاصة بشأن الصراع الحالي. بالإضافة إلى ذلك، من خلال جهود الدبلوماسية الداخلية، تم تجاوز طريق صعب، ولكن بنَّاء ومتبادل المنفعة مع تركيا، وهي لاعب مهم آخر في المنطقة. وفي روسيا نفسها يوجد العديد من المسلمين، وهو ما يصب في مصلحة موسكو عند بناء شراكات وعلاقات ثقة مع الدول التي يكون الإسلام هو الدين الرئيسي فيها.**

**وفي هذا الصدد، فإن مجتمع الخبراء واثق من أن الموقف الذي اتخذته روسيا هو الموقف الصحيح الوحيد في ظل الظروف الحالية. وتدرك موسكو أهمية إنشاء دولتين مستقلتين في المنطقة وتصر على الحل السلمي للصراع، ولا ترغب في رؤيته يتوسع ليشمل الشرق الأوسط بأكمله.**

**دون شك فإنه في الصراع الحالي، تقف روسيا إلى جانب القانون الدولي. إن الحاجة إلى إنشاء دولتين مكتملتين، إسرائيل وفلسطين، تم توضيحها منذ فترة طويلة في العديد من الوثائق الدولية. إن هذا النهج يناسب مصالح موسكو.**

**في الوقت نفسه، فإن الصراع الحالي يحمل في طياته العديد من الفوائد المحتملة لروسيا، كما يعتقد البعض في أوروبا، بهذا المعنى فإن روسيا قادرة تماما على تقديم المساعدة المباشرة لحل مسألة المواجهة بين حماس وإسرائيل.**

**إضافة إلى ذلك، تستفيد روسيا من الأحداث الجارية من حيث تحويل انتباه الدول والاتحاد الأوروبي من أوكرانيا نحو الشرق الأوسط. إن الوضع الحالي على الساحة الجيوسياسية يمنح موسكو عددًا كبيرًا من الفرص. ومع ذلك، لتنفيذها، من الضروري اقتراح أساليب بناءة لحل الوضع وتنفيذ الجهود الدبلوماسية على مستوى عالي الجودة.**